

# أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَجَاهِدٍ وَكُنَايَةُ السَّبْعَةِ

لِلدُّكُونِ

عبد الكريم محمد الحسن بطار  
الأستاذ المساعد بالكلية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد  
فإن في تاريخ كل فن من الفنون أعلاما نهضوا به فكان اثراؤهم لذلك الفن عبارة عن وثبات  
علمية لا تخضع لقوانين الارتقاء فيلمس الباحث أن هذا الامام أو ذاك كأنه مصنوع له  
بوركت أوقاته كما بوركت أفكاره كما بوركت تأليفه ومصنفاته.

ويلفت نظر الباحثين في تاريخ القرآن عامة وتاريخ القراءات خاصة ذلك القبول الذي  
حازه عمل ابن مجاهد في كتابه السبعة حيث اقتصر على قراءات عاصم وحمة والكسائي ونافع  
وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو بن العلاء من بين قراءات كثيرة تعد بالملئات، وذلك القبول  
عند أهل القرآن أشبه بتلقى الأمة لكتاب البخارى وأهل العربية لكتاب سيويه وأهل  
التفسير لتفسير الطبرى، وهذا القبول منحة من الله تبارك وتعالى وما كان كذلك وقفت دونه  
خوارق الهمم.

وسيتناول مقالنا عن ابن مجاهد: رئيسيتين :

الأولى حياة ابن مجاهد الاجتماعية والعلمية والثانية كتاب ابن مجاهد السبعة والاثار التي  
تركها هذا الكتاب في تاريخ فن الاقراء متوخين الايجاز والاقتضاب ، والله من وراء القصد  
وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حياته :

في سوق العطش من مدينة السلام بغداد، وفي عام ٢٤٥هـ ولد أحمد بن موسى بن  
العباس بن مجاهد التميمي، وقد أجمعت مصادر ترجمته - التي اطلعنا عليها - على اغفال  
الحديث عن نشأته، وعدم الحديث عن أبيه أو أسرته مما يدل على أن حالته الاجتماعية

والمعيشية لم تكن مميزة كذلك التي يحفل بها المؤرخ الملوكي مما يجعل التأريخ لولادته ونشأته أمراً غير ذي معنى في عرف أهل ذلك الزمان<sup>(١)</sup>.

### خصائصه النفسية والخلقية :

أجمع من ترجم لابن مجاهد على أنه كان حسن العشرة طلق الوجه دمث الأخلاق كثير المداعبة مع كمال التقوى والورع<sup>(٢)</sup>.

### ظرفه ودعابته :

ذكر ابن الأنباري أنه اجتمع أبوبكر بن السراج وابن مجاهد واسماعيل القاضي في بستان وكان فيه دولا ب فغنّ لهم أن يعشوا بادارتها فلم يقدروا على ذلك فالتفت اليهم أحدهم وقال أما تستحون مقرئ البلد ونحويه وقاضيه لا يجيئ منهم ثور<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن مجاهد أنه حضر هو وجماعة من أهل العلم في بستان وقد داعب ، وقال وقد لا حظه بعضهم: التعاقل في البستان كالتخالع في المسجد.

### حزمه في التربية :

لم يكن ليتساهل في اعطاء التربية حقها من النصيح والحزم والوقار فقد ذكر أحمد بن محمد الحميري قال : كنت اختلف الى أبي بكر أحمد بن مجاهد المقرئ فكان يكرمنى لفقهى فاشتيت أن أقرأ عليه لما رأيت ولوع الناس بالقراءة عليه فقلت له : انى أريد أن أقرأ عليك القرآن فقال نعم : ان كنت تريد القراءة فاجلس مجلس التلامذه فتحولت من جنبه الى بين يديه، فلما افتتحت القراءة على رسم العامة<sup>(٤)</sup>. قلت: بسم الله الرحمن الرحيم قال: أوكذا

(١) انظر في ترجمة ابن مجاهد - تاريخ بغداد ١٤٤/٥، معجم الأدباء ٧٠/٥، شذرات الذهب ٣٠٢/٢، معرفة القراء

الكبار ٢١٦/١ - طبقات الشافعية الكبرى ١٠٢/٢ - طبقات القراء ١٣٩/١.

(٢) انظر معجم الادباء ٧٠/٥ ومعرفة القراء الكبار ٢١٦/١.

(٣) نزعة الالباء ١٨٦.

(٤) أى كما يبدأ بها عامة الناس .

تقرأ ؟ ، اذهب الى ذلك الفتى حتى يرشدك، ثم اقرأ على فخرجت من ذلك، وترك اكرامى كما كان يكرمنى قبل ذلك لما رأى بضاعتى فى القراءة<sup>(٥)</sup>، وتقدم رجل عظيم الهامة وافر اللحية ، وابتدر ليقرأ على ابن مجاهد فقال: ترفق يا خليلي أدب النفس ثم أدب الدرس<sup>(٦)</sup>.

### اجلاله للعلماء وثناءه عليهم :

وكان ابن مجاهد رحمه الله وفيما لشيخه يرعى حرمتهم وينأى عما يزعجهم، وذلك من حسن الخلق وكمال التذم، فقد حدث السيرافى أنه سمع ابن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول متقدم، ولقد فاتنى منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب<sup>(٧)</sup>، فقد أخذ ابن مجاهد عن وريث علم الكوفيين فى عصره ثعلب وقد كان بين ثعلب الكوفي والمبرد البصرى منازعات علمية وغير علمية ، وهى امتداد للخلاف بين البصريين والكوفيين فرأى أن من الوفاء عدم الأخذ بمن يخاصم شيخه.

### شيوخه :

كان الناس يتفاخرون بكثرة الشيوخ وعلو الاسناد والرحلة فى طلب العلم، وكان ابن مجاهد أحد أولئك الأعلام الذين كثر شيوخهم ، فقد عدّله ابن الجزرى نحواً من خمسين شيخاً وهذا عدد غير قليل ولا ريب أن ملازمته لأولئك الأشياخ كانت متفاوتة ويبدو مما ذكره ابن الجزرى أن ملازمته لشيخه عبدالرحمن بن عبدوس البغدادى كانت طويلة ، حيث قرأ عليه قرابة عشرين ختمة بقراءة نافع وقرأ عليه للكسائى وأبى عمرو وحمة ، وذكر ابن الجزرى كذلك أن اعتماد ابن مجاهد فى العرض كان على ابن عبدوس<sup>(٨)</sup>.

ومن أبرز شيوخه محمد بن جرير الطبرى ، وأبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب امام

(٥) انظر معرفة القراء الكبار ٢١٦/١.

(٦) تاريخ بغداد ١٤٦/٥ .

(٧) نزهة الألباء: ١٦٥ .

(٨) طبقات القراء ٣٧٤/١.

الكوفيين في النحو، ومحمد بن الجهم السمرى، وعنه روى كتاب معانى القرآن للفراء، ومحمد بن يحيى الكسائى، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبدالرحمن الشهير بقنبل وغيرهم كثير.

### أما الرحلة في طلب العلم :

فلاشك أنه طوف في بعض أقطار العالم الاسلامى ولكن لم تكن تلك الرحلة واسعة ومن ثم فان نده وشريكه في الأخذ عن بعض شيوخه ابن شنيوز، كان يعير ابن مجاهد بقوله: هذا العطشي<sup>(٩)</sup> لم تغير قدماء في هذا العلم<sup>(١٠)</sup> على حين أشاروا في ترجمة الأخير الى سعة الرحلة في طلب العلم وكثرة تطوافه في البلدان<sup>(١١)</sup>.

### تلامذته :

ان مجموع الصفات التي توفرت في ابن مجاهد رحمه الله جعل طلاب العلم يزدحمون ببابه ، وقد رفع من ذكره كتابه السبعة وان شئت فقل القبول الذى لقيه عمله ذاك مما دعا الى توافد طلبية القراءات عليه، ويكفى للإشارة الى كثرة طلابه ما ذكره ابن الجزرى بقوله: ولا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه حكى ابن الأخرم أنه وصل الى بغداد فرأى في حلقة ابن مجاهد نحو من ثلاثمائة مصدر وقال على ابن عمر المقرئ، كان ابن مجاهد له في حلقاته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس<sup>(١٢)</sup>.

وقد كان انبه أولئك التلاميذ ذكرا - في فن الاقراء - عبدالواحد بن أبى طاهر البغدادي ، فقد أجمع أصحاب ابن مجاهد على تقديمه عقب وفاة شيخه فتصدر للاقراء وقصده الأكابر<sup>(١٣)</sup>.

---

(٩) العطشي نسبة الى سوق العطش ببغداد .

(١٠) طبقات القراء ٥٤/٢ .

(١١) انظر ترجمة ابن شنيوز في طبقات القراء ٥٤/٢ .

(١٢) انظر طبقات القراء ١٤٢/١، ومعركة القراء الكبار ٢١٦/١ .

(١٣) أنظر غاية النهاية ٤٧٦/١ .

ومنهم كذلك عقيل بن على البغدادى المعروف بابن البصرى<sup>(١٤)</sup> وأحمد بن ابراهيم الجلاء<sup>(١٥)</sup>.

وقد تتلمذ عليه أعلام فى اللغة والنحو كأبى على الفارسى الذى كان من وفائه لشيوخه ابن مجاهد أن شرح كتاب السبعة بكتابه العظيم الحجة فى سبعة مجلدات<sup>(١٦)</sup> وكأبى الحسين أحمد ابن خالويه الذى كان من وفائه كذلك تأليف كتاب الحجة فى القراءات السبع وهو كحجة الفارسى يعلل ويوجه ما اختاره شيخه<sup>(١٧)</sup>، وكأبى سعيد السيرافى شارح كتاب سيبويه<sup>(١٨)</sup>.

### مصنفاته :

ذكر أصحاب كتب التراجم مؤلفات عدة لابن مجاهد وتلك المصنفات تبحث فى موضوع واحد هو القراءات القرآنية مما يشير الى انقطاعه الى هذا الفن وتخصسه به وقد ذكر له ياقوت المصنفات التالية: كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات الصغير، كتاب الیاءات كتاب الهاءات، كتاب قراءة أبى عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم كتاب قراءة نافع، كتاب قراءة حمزة، كتاب قراءة الكسائى، كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبى صلى الله عليه وسلم، كتاب السبعة، كتاب انفرادات القراء السبعة، كتاب قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه<sup>(١٩)</sup>. وأضاف كحالة إلى ما ذكره ياقوت ، كتاب الشواذ فى القراءات<sup>(٢٠)</sup>، وقد أدار ابن جنى كتابه المحتسب على هذا الأخير.

والذى يبدو من تراجع هذه الكتب أن أكثرها كان أشبه ما يكون بالرسائل منه بالمصنفات ولا أعرف أنه نشر شئ منها عدا كتاب السبعة. وعدم تأليف ابن مجاهد فى الفنون الأخرى غير عائد الى عدم معرفته بغير القراءات، بل لانشغاله بالاقراء حيث المكوث للتلقين الساعات

---

(١٤) السابق ٥١٤/١ .

(١٥) السابق ٣٦/١ .

(١٦) طبع الجزء الاول منه بتحقيق على النجدي ناصف وزميليه.

(١٧) طبع بتحقيق د / عبدالعال سالم مكرم .

(١٨) انظر نزهة الألباء ٢٢٨.

(١٩) معجم الادباء ٧٠/٥ .

(٢٠) معجم المؤلفين ١٨٨/٢ .

الطوال كل يوم، ويشير الى معرفته بالعربية مناقشته لبعض القراء السبعة مناقشة تقوم على أسس لغوية ونحوية، وكذلك يصور لنا معرفته بالعربية، تعقب ابن جنى له في كتابه المحتسب في كثير من القضايا النحوية واللغوية، مما يدل على أن كتاب شواذ القراءات كانت فيه مناقشات لغوية كثيرة للقراءات وقد أشار في معجم المؤلفين الى جوانب ثقافته حيث قال : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد مقرأ محدث لغوى<sup>(٢١)</sup>.

### نبذ من أقواله :

قال التوحي : بلغنى عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال: الناس أربعة مليح يتبغض لملاحظته فيحتمل وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذى لا دواء له وبغيض يتبغض فيعذر، لأنه طبعه، ومليح يتملح، فتلك الحياة الطيبة<sup>(٢٢)</sup>.

وفي تاريخ ابن بشر: كان ابن مجاهد كثيراً ما ينشد:

إذا عقد القضاء عليك أمرا ... فليس يحله الا القضاء<sup>(٢٣)</sup>

ومن كلامه كذلك من قرأ لأبى عمرو وتمذهب للشافعى واتجر في البز وروى شعر ابن المعتز فقد كمل ظرفه<sup>(٢٤)</sup>.

وقال الزركشى : قال ابن مجاهد: اذا شك القارىء في حرف هل هو ممدود أو مقصور فليقرأ بالقصر، وان شك هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأ بالفتح لأن الأول غير لحن في بعض المواضع<sup>(٢٥)</sup>.

### ثناء العلماء عليه :

أطبق جميع من ترجم لابن مجاهد من المؤرخين على وصفه بالعلم والفضل وحسن الخلق والامامة في القراءة وهذه نبذة من شهادات العلماء فيه.

(٢١) معجم المؤلفين ١٨٨/٢.

(٢٢) معجم الادباء ٧٢/٥.

(٢٣) السابق في الصفحة نفسها.

(٢٤) طبقات الشافعية الكبرى ١٠٢/٢.

(٢٥) البرهان ٣٣٨/١.



- ١ - قال ثعلب النحوى الكوفى فى سنة ست وثمانين ومائتين: ما بقى فى عصرنا هذا أحد أعلم بكتاب الله من أبى بكر بن مجاهد.(٢٦).
- ٢ - قال أبو البركات بن الأنبارى : وأما أبو بكر بن مجاهد فهو امام فى القراءة(٢٧) .
- ٣ - قال الحافظ الذهبى : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ العصر أبوبكر البغدادى المقرئ الأستاذ(٢٨).
- ٤ - قال الامام أبو عمرو الدانى: فاق ابن مجاهد فى عصره على سائر نظرائه من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه(٢٩)، هذا ولولا خوف الاطالة لأتينا على أقوال كثيرة عاطرة تدل على رفعة قدره ونباهة ذكره.

### وفاته :

فى عصر يوم الأربعاء لتسع أو لعشر بقين من شعبان عام ٣٢٤ للهجرة ، فاضت روحه بعد جهاد طويل وجهد مشكور فى خدمة كتاب الله تبارك وتعالى ، ودفن ضحى اليوم التالى، وصلى عليه الحسن بن عبدالعزيز الهاشمى الامام عند باب البستان ودفن فى مقبرة له فى باب البستان رحمه الله تعالى(٣٠)، وذكر صاحب هدية العارفين أنه توفى عام ٣٢٣(٣١)، وهذا قول شاذ لا يعول عليه.

### كتاب السبعة فى القراءات :

ألف ابن مجاهد كتابه السبعة قرابة سنة ثلاثائة هجرية وضمنه أصح القراءات ، فى نظره - واختار من كل مصر من الامصار الاسلامية قارئاً أو أكثر وليس ابن مجاهد أول من فعل

(٢٦) . تاريخ بغداد ١٤٥/٥ .

(٢٧) نزهة الألباء ٢٠١ .

(٢٨) معرفة القراء الكبار ٢١٦/١ .

(٢٩) السابق ٢١٧/١ .

(٣٠) تاريخ بغداد ١٤٨/٥ والمتنظم ٢٨٢/٦ .

(٣١) هدية العارفين ٥٩/١ .

ذلك بل هو مقلد للأئمة قبله، فقد سبقه الى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) فألف كتابا أسماه القراءات ذكر فيه قراءات خمسة وعشرين قارئاً وفعل نحو من ذلك أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) وألف محمد بن جبير الكوفي (ت ٢٥٨) كتابا جمع فيه قراءات خمسة من القراء اختار كل واحد منهم من مصر من الأمصار كما أن ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) ألف كتابا في اختلاف القراءات أسماه الجامع ضمنه قراءات نيف وعشرين من القراء (٣٢).

وقد شاع على السنة المقرئين والمؤرخين أن ابن مجاهد هو أول من سبغ السبعة أى أول من اقتصر في تأليفه على قراءات سبعة من القراء وظاهر الأمر كذلك إلا أن هناك نصا يشير الى أن ابن مجاهد مسبوق بهذا التسبيع ، فقد قال مكى بن أبى طالب في معرض تشنيعه على من عدّ القراءات السبع هى الأحرف السبعة - : « فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكيف يكون ذلك والكسائى انما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره كان السابع وهو يعقوب الحضرمى فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثائة أو نحوها الكسائى في موضع يعقوب. (٣٣).

وقد لفتت هذه الإشارة - لغرابتها - نظر الامام أبى شامة فقال: وأما قول مكى ان الكسائى ألحق بالسبعة في أيام المأمون وكان السابع يعقوب ففيه نظر فان ابن مجاهد صنف كتاب السبعة وهو متأخر عن زمن المأمون بكثير فقد مات المأمون سنة ٢١٨ هـ فلعل مصنفه آخر سبق ابن مجاهد الى تصنيف قراءات السبعة وذكر يعقوب دون الكسائى ان صح ما أشار اليه مكى. (٣٤).

ومكى امام من الأئمة العظام وأشارته موضع اعتبار وان كنا لا نعرف مؤلف ذلك الكتاب الذى سبق فيه ابن مجاهد الى التسبيع.

ومهما يكن من أمر فان عمل ابن مجاهد لم يكن في أول الأمر شيئا يلفت النظر ولكن

---

(٣٢) تاريخ التراث ١/ ١٥٢.

(٣٣) الابانة ٣ - ٥ .

(٣٤) المرشد الوجيز ١٥٤ .

القبول الذى لقيه عمله بعد واحتفال العلماء به هو الذى جعل له مكانة خاصة بين ما سبقه وما تلاه من مؤلفات واختيارات فى فن الاقراء.

### أسانيد ابن مجاهد الى القراء السبعة :

أثبت ابن مجاهد فى مقدمة كتابه أسانيده الى القراء السبعة ليعلم الناظر فى كتابه الطرق التى وصلت اليه عنها مادة الكتاب.

ومن النظرة العجلى فى تلك الاسانيد تتبدى للباحث كثرة الطرق التى وردت عنها قراءات نافع وعاصم وأبى عمرو كثرة غامرة على حين أن الطرق التى وردت عنها قراءات ابن عامر وحمزة والكسائى وابن كثير تعدّ قليلة نسبيا.

فقد بلغت الطرق والأسانيد بينه وبين نافع مقرأ أهل المدينة قرابة خمسة وعشرين سندا<sup>(٣٥)</sup> وبلغت أسانيده عن عاصم مقرأ الكوفة قرابة خمسة عشر سندا، هذا على حين أن الطرق بينه وبين على بن حمزة الكسائى خمس طرق ونحو من ذلك بينه وبين ابن عامر<sup>(٣٦)</sup>.

أما عدد رجال الاسناد بينه وبين القراء السبعة فانه متفاوت ولعل أعلى طريقة اسنادا ما كان بينه وبين حمزة والكسائى فقد قال: وقال محمد بن الجهم : قرأت على عائد بن أبى عائد وقرأ عائد على حمزة<sup>(٣٧)</sup> فبينه وبين حمزة رجلان فى هذا الطريق.

وقال أيضا : أخبرنى أحمد بن يوسف عن أبى عبيد عن الكسائى وأخبرنى محمد بن يحيى الكسائى عن أبى الحارث عن على بن حمزة الكسائى<sup>(٣٨)</sup>، فبينه وبين الكسائى كذلك راويان.

ولكن أكثر الأسانيد تشتمل على ثلاثة رجال بينه وبين القارىء وذلك حسب تقدم وفاة

---

(٣٥) انظر السبعة ٨٨ - ٩١ .

(٣٦) السابق ٩٨ - ١٠١ .

(٣٧) السابق ٩٧ .

(٣٨) السابق ٩٨ .

القارىء وتأخرها ، وقد وجد في بعض الأسانيد خمسة رواة كما وقع في بعض أسانيده الى ابن كثير (٣٩).

وكان ابن مجاهد نضر الله وجهه - أمينا في تبيان ما أخذه عن طريق تلك الأسانيد مشافهة وما أخذه اجازة وما قرأ به عامة القرآن وما قرأ به بعض حروف منه فقد قال : وأخبرني الحارث بن محمد بن أبي أسامة عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن نافع ببعض الحروف (٤٠)، وذلك لثلاثا يتوهم القارئ أنه قرأ جميع القرآن على الحارث.

ثم قال : وأخذت عامة رواية محمد بن عمر عن كتاب محمد بن سعد عن محمد بن عمر (٤١) فهو يشير الى أنه لم يأخذ القراءة عن محمد بن سعد شفاهة انما أخذها عن كتابه الذي رواه عن الواقدي (٤٢).

وبهذا يكون ابن مجاهد قد وضع صورة الاسناد من جميع جوانبها ليتيح للنقاد ورجال الجرح والتعديل امكانية الحكم على رجاله وهذا توثيق بالغ الدقة يدل على احساس ابن مجاهد بعظم العمل الذي تصدى له.

### منهج الكتاب :

افتتح ابن مجاهد كتابه في بيان تفاوت حملة القرآن الكريم وتفاضلهم في الضبط والانتان ومعرفة العلل التي تعرض للرواية فقال: «فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلام البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار فذلك الامام الذى يفرع اليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين ومنهم من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك ، فذلك كالأعرابي الذى يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه ، ومنهم من يؤدى ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده الا الأداء لما تعلم لا يعرف

---

(٣٩) السابق ٩٢ .

(٤٠) السابق ٩٠ .

(٤١) السابق ٩٠ .

(٤٢) انظر حاشية السبعة تعليق المحقق ص ٩٠ .

الاعراب ولا غيره، فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى اذا طال عهده فيضيع الاعراب لشدة تشابهه، وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ولا به بصر بالمعاني يرجع اليه وانما اعتاده على حفظه وساعه وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشبه عليه الحروف فيقرأ بلحن لا يعرفه وتدعوه الشبهة الى أن يرويه عن غيره ويبرى نفسه وعسى أن يكون عند الناس مصدقا فيحمل ذلك عنه وقد نسيه ووهم فيه وجسر على لزومه والاصرار عليه. أو يكون قد قرأ على من نسى وضع الاعراب ودخلته الشبهة فيتهم فذلك لا يقلد القراءة ولا يحتج بنقله ومنهم من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالاعراب الى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعا<sup>(٤٣)</sup>، وابن مجاهد في هذا يؤكد على وجوب معرفة المقرئ للقراءات وعللها سندا ومتنا بالاضافة الى معرفته بالعربية لتكون سياجا لحفظه وميزانا يزن به عند الشك وعرو الشبهة ثم يمضى ابن مجاهد فيسوق اقوالا عدة لأئمة القراءات تؤكد على وجوب الاتباع في القراءات وكرهية الابتداع<sup>(٤٤)</sup>.

ثم عنون ابن مجاهد بقوله : «أئمة القراء وأنسابهم وأساتذتهم وتلاميذهم» وقد أطنب في الحديث عن أساندة نافع وتلاميذته<sup>(٤٥)</sup> وفعل نحو ذلك عند الحديث عن أبي عمرو بن العلاء<sup>(٤٦)</sup>، على حين لم يتحدث عن تلامذة الكسائي ولا تلامذة ابن عامر ولم يذكر لابن كثير المكي سوى شيخ واحد هو مجاهد بن جبر<sup>(٤٧)</sup>، ولم يذكر كذلك لابن عامر سوى شيخ واحد هو المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وأخذ المغيرة عن عثمان رضى الله<sup>(٤٨)</sup> عنه، وهذا قصور لا يتناسب مع ما عرف عن ابن مجاهد من التوثيق اذ كيف لا يذكر لرجال من أئمة القراء- الذين يقول أكثر العلماء في قراءاتهم انها متواترة - سوى شيخ واحد ويهمل ذكر بقية الشيوخ ؟

(٤٣) السبعة ٤٥ - ٤٦ .

(٤٤) السابق ٤٦ - ٥٢ .

(٤٥) السابق ٥٣ - ٦٤ .

(٤٦) ص ٣٠ .

(٤٧) السابق ٦٥ .

(٤٨) السابق ٨٦ .

ثم ابتداءً بعد تلك المقدمات بذكر مذاهب القراء السبعة في كل حرف من حروف القرآن وقد كان يعلل لمذهب كل قارى بما يقوى مذهبه في ذلك إلى آخر سورة الفاتحة ثم قال بعد ذلك: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة وكرهت أن يثقل الكتاب فأمسكت عن ذلك<sup>(٤٩)</sup>.

ولم يرتب ابن مجاهد في كتابه بين ما يسميه القراء بالأصول وبين ما يسمونه بالفرش فقد ذكر خلاف القراء في سورة الفاتحة الى قوله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم»<sup>(٧)</sup> فترك الحديث عن المفردات وأخذ يتحدث عن صلة ميم الجمع بواو وعن ضم الهاء وقبلها كسرة<sup>(٥٠)</sup>.

ثم تحدث عن مذاهب القراء في قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم»<sup>(٧١)</sup> ثم عقد فصلاً للحديث عن الادغام واختلاف القراء فيه وهكذا كان يتكلم عن المفردات حتى اذا جاءت مناسبة للحديث عن أصل من الأصول شرع في الحديث عنه وهكذا فقد اضطرب ابن مجاهد اضطراباً ظاهراً في تداخل الأصول والمفردات ولو أنه بدأ بذكر أمهات المباحث كالهمز والامالة والادغام والإشمام وصلة ميم الجمع وما شاكل ذلك وكشف عن الاتجاهات العامة لكل واحد من السبعة في تلك المباحث ثم تحدث بعد ذلك عن المفردات والخلاف فيها لكان ذلك أعون للقارى على استيعاب مذهب كل قارى.

وعند قوله سبحانه وتعالى: (انى أعلم ما لا تعلمون)<sup>(٣٠)</sup> من سورة البقرة، تحدث عن الاتجاه العام لكل قارى من السبعة في تحريك ياء الاضافة وتسكينها ووعد بذكر ياءات الاضافة الموجودة في كل سورة في آخرها وقد وفى بذلك في الأعم الأغلب وسها في بعض المواضع ذكر ياءات الاضافة أو ذكر المحذوف منها<sup>(٥١)</sup>. وقد استدرکها عليه المحقق.

### نماذج من الكتاب :

يلاحظ قارى الكتاب أن ابن مجاهد رحمه الله كان يسعى الى الاقتضاب في تصوير قراءة القارى ما وجد الى ذلك سبيلاً ولكن اذا كان ثمت خلاف عن القارى أو كان القارى

---

(٤٩) السبعة ١١٢ .

(٥٠) ص ١٠٨ .

(٥١) انظر على سبيل المثال السبعة ٤٥٠، ٤٧٥، ٤٨٩، ٥٣٦، ٥٣٦، ٥٥٠، ٥٦٤، ٦٣٤، ٦٤٥.

منفرداً عن القراء بقرائه أو كانت ثمت ملاحظات على قراءته فإن ابن مجاهد حينئذ يسوق الروايات والأوجه المختلفة لتدعيم ما يراه منها أقوى أو أشبه بالصواب وأبعد عن النقد وسنقدم نماذج مقتضبة لكل ذلك:

١ - قال ابن مجاهد : واختلفوا في قوله: «ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» (الاسراء ١٣) فقرأ ابن عامر وحده: «يلقاه» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف وقرأ الباقر «يلقاه» بفتح الياء وتسكين اللام وتخفيف القاف وحمزة والكسائي يملآن القاف. (٥٢).

٢ - اختلفوا في المد والقصر في قوله جل ذكره : «ينشأ النشأة الآخرة» (العنكبوت ٢٠) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النشأة» ممدودة في القرآن كله وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «النشأة» بالقصر في كل القرآن. (٥٣).

٣ - اختلفوا في قوله سبحانه: «بعذاب بنس» (الأعراف ١٦٥) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي «بنيس» على وزن فعيل وقرأ نافع: «بنيس» بكسر الباء من غير همز وينون وروى أبو قرعة عن نافع «بنيس» على وزن فعيل مثل حمزة وروى خارجة عنه - أي نافع - بيس « بفتح الباء من غير همز منون ساكن الياء على وزن فعل وقرأ ابن عامر «بنيس» على وزن فعل مثل نافع غير أنه مهموز وروى حفص عن عاصم: «بنيس» على وزن فعيل مثل حمزة ، وروى حسين الجعفي عن أبي بكر عن عاصم «بنيس» على وزن فيعل بفتح الهمزة أخبرني به موسى بن اسحاق القاضي عن هارون ابن حاتم عنه: وزن فيعل الهمزة مفتوحة بين الياء والسين ، وحدثني البختري عن يحيى عن أبي بكر قال: كان حفظى عن عاصم : «بنيس» على وزن فعيل ، قال ثم جاءني منها شك فتركت روايتها عن عاصم واخذتها عن الأعمش «بنيس» مثل حمزة حدثني به محمد بن الجهم قال: حدثني ابن أبي أمية عن أبي بكر قال: كان حفظى عن عاصم بئس على وزن فيعل فدخلني منها شك فتركت روايتها عن عاصم وأخذتها عن الأعمش «بنيس» على وزن فعيل. (٥٤).

(٥٢) السبعة ٣٧٨ .

(٥٣) السابق ٤٩٨ .

(٥٤) السابق ٢٩٦ - ٢٩٧ .

٤ - قال تعالى ذكره: «واذا قيل انشزوا فانشزوا» (المجادلة ١١)، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي : «واذا قيل انشزوا فانشزوا» بكسر الشين فيها.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والأعشى عن أبي بكر وهارون بن حاتم عن أبي بكر عن عاصم «واذا قيل انشزوا فانشزوا» برفع الشين فيها وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر أنه لم يحفظ عن عاصم كيف قرأ ، زعم ذلك خلف وأبو هشام والوكيعي عن يحيى وقال ابن سعدان عن محمد بن المنذر عن يحيى عن أبي بكر عن عاصم «واذا قيل انشزوا فانشزوا» بكسر الشين فيها وقال غيره عن يحيى عن أبي بكر : لم أحفظها عن عاصم فسألت عنها الأعمش فقال بكسر الشين فيها ، وقال عبد الجبار بن محمد العطارى سألت عروة بن محمد : كيف ينبغي أن تكون في قراءة عاصم ؟ فقرأها برفع الشين وقال هو مثل يعكفون<sup>(٥٥)</sup>.

فقد وجد ابن مجاهد أن حفصا شريك أبي بكر في الرواية عن عاصم قد رواها بضم الشين كما وجد ان الأعشى وهارون بن حاتم راويي أبي بكر وافقا حفصا في رواية ضم الشين فأخذ يسوق الروايات الأخرى التي تؤيد ضم الشين ، ورواية ثالثة تشير الى أن أبا بكر لم يحفظها عن عاصم فلجأ الى الأعمش. أحد الرواة الرؤساء عن عاصم - يسأله عن كيفية قراءة عاصم لها- وهكذا نجده يستنفذ الروايات عن المقرئ ليجلو أمام القارئ وهكذا كان شأنه في جميع كتابه يوجز عند الاتفاق ويسوق الروايات عند الاختلاف.

### ظاهرة التفعيد في الكتاب :

لم يكن ابن مجاهد يسوق قراءات القراء متناثرة في كل موضوع بل كان يحاول أن يكشف عن اتجاه القارئ العام في جميع القرآن الكريم. بغية التسهيل على من يريد حفظ مذاهب القارئ في الأصول والفرش وبغية الاقتصاد في الجهد وهذا يدل على تمكن ابن مجاهد من معرفة مذهب كل قارئ من القراء الذين حكى مذهبهم في القراءة وان كنا نظن أن معرفته بقراءة ابن عامر كانت دون معرفته بقراءات غيره<sup>(٥٦)</sup>، وهذه نماذج تظهر القارئ على ما نقول

(٥٥) السابق ٦٢٩ .

(٥٦) انظر مثلا ١٧٥ - ١٩٤ من السبعة .



١ - اختلف القراء في قوله تعالى: «ان ينزل الله من فضله» (البقرة ٩٠) في تشديد الزاى من ينزل وتخفيفها.

فقراً نافع ينزل مشددة الزاى اذا كان - أى ينزل - فعلاً فى أوله ياء أو تاء أو نون وإذا كان فى أول الفعل ميم<sup>(٥٧)</sup> ، لم يستمر فيه على وجه واحد فكان يشدد حرفاً واحداً فى المائدة كقوله تعالى: « انى منزلها عليكم » (المائدة ١١٥) ويخفف ما سواه فإذا كان ماضياً ليس فى أوله ألف وكان فعل ذكر خفف الزاى مثل قوله تعالى : «نزل به الروح الأمين» (الشعر ١٩٣) ومثل قوله: «وما أنزل من الحق» (الحديد ١٦) ويشدد سائر القرآن<sup>(٥٨)</sup> ، ومضى ابن مجاهد على هذا المنوال يحكى مذاهب القراء فى مادة نزل.

٢ - اختلفوا فى قوله تعالى: «وما الله بغافل عما تعملون» (البقرة ٧٤) فقراً ابن كثير كل مافى القرآن من قوله: «وما الله بغافل عما تعملون» بالتاء الا ثلاثة أحرف قوله: «وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون» (البقرة ٧٤) بالياء وكذلك «يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون» (البقرة ٨٥) وكذلك قوله تعالى : «يعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون» (البقرة ١٤٤) وقرأ ما كان من قوله: «وما ربك بغافل عما يعملون» (الأنعام ١٣٢) (والنمل ٩٣) بالياء.<sup>(٥٩)</sup>

وظاهرة التقعيد هذه موجودة فى أوائل الكتاب بصورة مكثفة ونقل فى آخره وهذا طبيعى.

ومما يتصل بظاهرة التقعيد هذه أن ابن مجاهد رحمه الله كان يستضىء بانحاء القارىء العام لترجيح رواية رويت عنه على رواية أخرى فى قراءة ما وهذا إن دل على شئ فأنما يدل على نباهة ابن مجاهد وفطنته وحسن تأتبه فقد قال: «واختلفوا فى كسر الهمزة واختلاس حركتها واشباعها فى قوله «الى بارئكم» (البقرة ٥٤)

فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى يكسرون الهمزة من غير

---

(٥٧) الكوفيون يسعون اسم الفاعل مثل منزل فعلاً .

(٥٨) السبعة ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥٩) السابق ١٦٠ .

اختلاس ولا تخفيف واختلف عن أبي عمرو فقال عباس بن الفضل: سألت أبا عمرو كيف تقرأ الى بارئكم» مهموزة مثقلة أو الى بارئكم مخففة فقال قراءتي بارئكم مهموزة غير مثقلة وروى اليزيدى وعبدالوارث عنه بارئكم فلا يجزم الهمزة وقال سيبويه<sup>(٦٠)</sup>، كان أبو عمرو يختلس الحركة من بارئكم ويأمركم وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات فيرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يكن يسكن وهذا مثل رواية عباس بن الفضل عنه التي ذكرتها أنه كان لا يشقلها وهذا القول أشبه بمذهب أبي عمرو لأنه كان يستعمل في قراءته التخفيف كثيرا<sup>(٦١)</sup>.

وبعد أن يسوق آيات عدة جاءت مختلصة الحركة في بعض الروايات عن أبي عمرو يقول ابن مجاهد: القول ما أخبرتك من أنه كان يؤثر التخفيف في قراءته كلها والدليل على إثاره التخفيف أنه كان يدغم من الحروف مالا يكاد يدغمه غيره ويلين الساكن من الهمزة ولا يهزم هزمتين<sup>(٦٢)</sup>.

### ابن مجاهد يصطنع علل النحاة:

لا يعرف عن ابن مجاهد أنه كان ضالعا في العربية ضلوع المختصين فيها، ولكن هناك نصوصا في السبعة تشير الى أنه كان مطلعا على كتاب سيبويه، كما أن أقواله النحوية التي ذكر جانباً منها ابن جنى في المحتسب توحى بعرفته بعلم النحو<sup>(٦٣)</sup>، وإن كان دون البارعين فيه من أمثال تلميذه الفارسي وتلميذه ابن خالويه وابن مجاهد يجارى النحاة في تعليقاتهم للظواهر اللغوية ويوجهها عين توجيه النحاة لها وهذه نماذج على ذلك.

١ - قال ابن مجاهد - معلقا على اختلاف القراء في الصاد من الصراط المستقيم - والسين في الكتاب - أى خط المصحف - بالصاد وإنما كتب بالصاد ليقربوها من الطاء لأن الطاء لها تصعد في الحنك وهى مطبقة والسين مهموسة وهى من حروف الصغير فتقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة فقلبو السين صاد لانها مؤاخية للطاء في الاطباق ومناسبة للسين في الصغير ليعمل اللسان فيها متصعدا.<sup>(٦٤)</sup>

(٦٠) الكتاب ٢/٢٩٧.

(٦١) السبعة ١٥٥.

(٦٢) السابق ١٥٦.

(٦٣) أنظر على سبيل المثال المحتسب ١/٦٦، ١/٩١، ١/١١٢، ١/١٢٠، ١/١٢٥، ١/٢٣٦.

(٦٤) السبعة ١٠٧.

٢ - يقول ابن مجاهد : (وأما ما لا يجوز اظهاره فقلوه» قد تبين « (البقرة ٢٥٦) و«لقد تركنا» (العنكبوت ٣٥) «وقالت طائفة» (آل عمران ٧٢) وما أشبه ذلك مدغم كله لا يجوز الا ذلك أن ابن المسيبي قد روى عنه - أى نافع - قد تبين باظهار الدال عند التاء وهذا مما أخبرتك أن اظهاره خروج من كلام العرب وهو ردى، جدا لقرب الدال من التاء، وكذلك التاءات الساكنة لا يجوز اظهارها عند الدال ففى مثل (فلما أثقلت دعوا الله) (الاعراف ١٨٩) «وأوجيت دعوتكما» (يونس ٨٩) الادغام لا غير وروى عنه أجيببت دعوتكما بالاظهار» (٦٥).

٣ - اختلفوا فى اثبات الهاء فى الوصل من قوله «فبهدهم اقتده» ( الأنعام ٩٠) فقرأ ابن كثير وأهل مكة ونافع وأهل المدينة وأبو عمرو وعاصم « فبهدهم اقتده قل «يشتون الهاء فى الوصل ساكنة وقرأ حمزة والكسائى « فبهدهم اقتد قل « بغير هاء فى الوصل ويقفان بالهاء وقرأ ابن عامر : «فبهدهم اقتده قل» بكسر الدال ويشم الهاء الكسر من غير بلوغ ياء وهذا غلط لأن هذه الهاء وقف (٦٦) لا تعرب فى حال من الأحوال وإنما تدخل لتبين بها حركة ما قبلها: (٦٧).

فأنت ترى أنه يعلل بعلل لغوية ونحوية يعلل بها النحاة واللغويون عادة وليس ابن مجاهد فى هذا منفردا عن القراء بل ان كثيرا من القراء كانوا كذلك ولم يكن هذا الفصل الحاد بين علوم الشريعة وعلوم العربية معروفا فى القرون الأولى.

ومن جهة ثانية فان ابن مجاهد كان تلميذا لامام من أئمة النحو الكونى وهو أبو العباس ثعلب وكان - كما ذكرت قريبا - مطالعا على كتاب سيبويه كما كان يتشوق الى التزود من علم المبرد البصرى - كما صرح هو بذلك - وقد ترتب على ذلك ظهور مصطلحات البصريين والكوفيين النحوية فى كلامه ، فقد سمي الضمير مكنى<sup>(٦٨)</sup>. وهذا اصطلاح كوفى<sup>(٦٩)</sup> وكان

(٦٥) السابق ١١٥ .

(٦٦) هى ما يسمى بهاء السكت .

(٦٧) السابق ٢٦٢ .

(٦٨) السبعة ١٩٦ .

(٦٩) انظر بمجالس ثعلب ٣٣٢ .

يعبر عن المصروف بيجرى وعن الممنوع من الصرف بما لا يجرى كما كان يقول بالصرف وعدم الصرف<sup>(٧٠)</sup>.

والكوفيون يسمون المصروف ما يجرى والممنوع من الصرف ما لا يجرى<sup>(٧١)</sup>. ومما وقع فيه الخلط في المصطلحات النحوية عند ابن مجاهد ألقاب الاعراب والبناء فالبصريون يجعلون الرفع والنصب والجر والجزم للكلمات المعربة ويجعلون الفتح والضم والكسر والسكون أو الوقف للكلمات المبنية والكوفيون يعكسون ذلك<sup>(٧٢)</sup> وقد استعمل ابن مجاهد اصطلاح البصريين في الاعم الغالب واصطلاح الكوفيين في القليل النادر<sup>(٧٣)</sup>.

### مناقشة ابن مجاهد للقراء :

لابن مجاهد شخصيته المستقلة تجاه ما ينقله عن الأئمة القراء ومن ثم فانه لم يكتف بنقل قراءاتهم كما أسلمتها اليه أسانيده بل كان يرجح بعض الروايات على بعضها الآخر ويصوب بعض القراءات ويلحن بعضها ، وقد تحدث محقق الكتاب عن مناقشة ابن مجاهد للقراء معتمدا على معرفته بروايات شتى عن القارئ الواحد مما مكنه من توهية بعضها وتقوية بعضها الآخر<sup>(٧٤)</sup>. فلا حاجة بنا لاستعراض هذا الجانب ولكننا سنتحدث هنا عن مناقشته للقراء السبعة على أساس لغوى محض.

وقد يعجب بعض الباحثين اذا قلنا ان ابن مجاهد قد خطأ بعض القراءات السبع وذلك لأن فريقا من الباحثين في القراءات القرآنية لم يأتوا البيوت من أبوابها ومن ثم فانهم أخذوا يكيلون التهم للنحاة بأنهم كانوا يطعنون في القرآن الكريم وقراءاته المتواترة ثم اختلفوا فمنهم من يقول: ان البصريين هم الذين ابتدعوا بدعة انتقاد القراءات ومنهم من يلصق ذلك بالكوفيين ودار جدل طويل في هذا وعالج أكثرهم الموضوع معالجة مبتورة عن أصولها وجذورها

---

(٧٠) السبعة ٣٣٧ .

(٧١) مجالس ثعلب ١٥٥ .

(٧٢) شرح الرضى على الكافية ٣/٢ .

(٧٣) أنظر السبعة ١٩٥ - ٤٤٨ .

(٧٤) أنظر مقدمة السبعة ٢٦ - ٣٤ بقلم الاستاذ الدكتور شوقي ضيف .

فوقعوا في أخطاء منهجية فادحة وكان جهادهم في غير عدو وتناول بعضهم الموضوع بشيء من الهياج العلمى فسموا النحاة طغاة وقرنوههم الى جانب المستشرقين وزعموا أنهم يدفعون عن القرآن الكريم غائلة الفريقين<sup>(٧٥)</sup> وليس هنا موضع مناقشة هذا الموضوع ولكنى ألقت أنظار اخواننا الغيورين الى أن أعلام القراء المتقدمين كانت لهم انتقادات لبعض القراءات ولم يسفهاوا بذلك من قبل فقهاء عصرهم وكيف يسفونهم وهم شركاؤهم في تغليب بعض القراء على ما يعلمه من أنعم النظر في تراجم القوم ونحن الان نقدم نموذجاً حياً لما نقول في شخص ابن مجاهد شيخ القراء في حاضره الخلافة.

١ - كلهم قرأ «أنبئهم» (البقرة ٣٣) بالهمز وضم الهاء الا ما حدثنى أحمد بن محمد بن بكر عن هشام بن عمار عن أصحابه عن ابن عامر «أنبئهم» بكسر الهاء وينبغي أن تكون غير مهموزة لأنه لا يجوز كسر الهاء مع الهمز فتكون مثل عليهم وعليهم وزعم الأخفش الدمشقى عن ابن ذكوان بإسناده عن يحيى زائدة بن الحارث عن ابن عامر «أنبئهم» مهموزة مكسورة الهاء وهو خطأ في العربية.<sup>(٧٦)</sup>

٢ - اختلفوا في قوله : فأزلهما الشيطان » (البقرة ٣٦) فقرأ حمزة فأزألهما بالامالة مع الالف وهذا غلط<sup>(٧٧)</sup>.

٣ - اختلفوا في قوله «معاش» (الاعراف ١٠) كلهم قرأ : معاش بغير همز وروى خارجة عن نافع : «معاش» ممدودة مهموزة قال ابوبكر - هو ابن مجاهد - وهو غلط<sup>(٧٨)</sup>.

٤ - قوله سبحانه : «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديّة» (الانفال ٣٥) كلهم قرأ (وما كان صلاتهم) رفعاً «الا مكاء وتصديّة» نصباً وحدثنى حسين بن الاسود قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا سفيان الثورى عن الأعمش أن عاصماً قرأ «وما كان

(٧٥) انظر الدفاع عن القرآن ضد النحاة والمستشرقين المقدمة.

(٧٦) السبعة ١٥٣ .

(٧٧) السابق والصفحة نفسها .

(٧٨) السابق ٢٧٨ .

صلاتهم» نصباً «الا مكاء وتصدية» رفعا فقال - أى سفيان للأعمش وأن لحن عاصم تلحن أنت» (٧٩).

ولو أردنا أن نأتى على جميع ما اعترض عليه ابن مجاهد من قراءات القرآن اذن لسودنا صفحات كثيرة ولكن فيما قدما مقنع.

ويظهر ما ذكرنا للقارىء الكريم ان ابن مجاهد كان يعتد بأقوال النحاة وكأنه كان يرى أن مخالفة القراءة - كائنا من كان قارئها - للمشهور من كلام العرب وقواعد النحاة تستدعى التنبيه على غلط صاحبها وهمه وعدم دقته في نقله ثم أن قلة معرفته بغير المشهور من أقوال النحاة جعلته يلحن بعض القراءات التي يجد لها بعض النحاة وجها أو وجوها من الصحة ونكتفى للتمثيل على هذا بآخر مثال سقناه من أمثلة تلحين القراء وهو نصب صلاتهم ورفع مكاء تلك التي اعترض عليها سفيان الثوري ووافقه ابن مجاهد ضمنا قال ابن جنى فيما روى عن عاصم والاعمش من نصب صلاتهم ورفع مكاء: «ولسنا ندفع أن جعل اسم كل نكرة وخبرها معرفة قبيح فانما جاءت منه أبيات شاذة وهو في ضرورة الشعر والوجه اختيار الافصح الاعرب ولكن من وراء ذلك ما أذكره.

اعلم ان نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا ترى أنك تقول: خرجت فاذا أسد بالباب فتجد معناه عن قولك: «خرجت فاذا الأسد بالباب لا فرق بينهما... ثم قال: «واذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازا قريبا حتى كأنه قال: وما كان صلاتهم عند البيت إلا المكاء والتصدية أى الا هذا الجنس من الفعل واذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك: كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم من معنى الجنسية التي تلاقى معنيا نكرتها ومعرفتها على ما ذكرنا وقدمنا. وأيضا فانه يجوز مع النفي من جعل اسم كان وأخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب ألا تراك تقول: ما كان انسان خيرا منك ولا تحيز: كان انسان خيرا منك فكذلك هذه القراءة أيضا لما دخلها النفي قوى وحسن جعل اسم كان نكرة هذا الى ما ذكرناه من نكرة اسم الجنس لمعرفته ولهذا ذهب بعضهم في قول حسان:

كأن سبيئة من بيت رأس .. يكون مزاجها غسل وماء

أنه إنما جاز ذلك - أى كون اسم كان نكرة - من حيث كان غسل وماء هما جنسين فكأنه قال: يكون مزاجها الغسل والماء فهذا تسهل هذه القراءة ولا يكون من القبح واللحن الذى ذهب اليه الأعمش على ما ظن<sup>(٨٠)</sup>.

وذكر أبو جعفر النحاس أن سيبويه أجاز ذلك على أنه شاذ بعيد<sup>(٨١)</sup> ولولا أننا قيدنا أنفسنا بالحديث عن كتاب السبعة اذ لسقنا نصوصا كثيرة جدا من المحتسب كان ابن مجاهد ينتقد فيها بعض القراءات الشاذة وكان أبو الفتح ابن جني ينافح عنها في كل سبيل ولعلنا بهذا نكون قد جلونا هذا الجانب للقارىء.

### بين ابن مجاهد ومحقق الكتاب :

قام الدكتور شوقي ضيف بتحقيق كتاب السبعة ونشره لأول مرة وقد جاء تحقيقه تحقيقا علميا رصينا وقدم له بمقدمة ضافية تكلم فيها عن نقاط مهمة في تاريخ القراءات القرآنية كما عرض لمناقشة ابن مجاهد للقراء وتحدث عن كتاب السبعة ووثق نسبته الى مؤلفه وكان الدكتور شوقي يوضح كثيرا من كلام ابن مجاهد الذى يحتاج الى توضيح متكنا على الحجة للفارسي والتيسير لأبى عمرو الداني والنشر لابن الجزرى وقد أسدى بعمله يدا بيضاء لأهل القرآن والقراءات خاصة ولأهل العربية عامة وهو أهل كل ثناء ومثله غني عن ثناء مثلى.

وقد كان ابن مجاهد رحمه الله يخطئ بعض القراء وكان المحقق يوافقه على ذلك في بعض المواضع ويخالفه أحيانا وقد وهم في كلام ابن مجاهد في بعض الأحيان واعترض عليه بغير وجه حق في مواضع أخرى وهذه نماذج على كل ذلك:

- ١ - قال ابن مجاهد : قوله «معاش» (الاعراف ١٠) كلهم قرأ معاش بغير همز وروى خارجة عن نافع «معاش» ممدودة مهموزة قال أبو بكر - هو ابن مجاهد - وهو غلط<sup>(٨٢)</sup>.
- وقد علق عليه الدكتور شوقي ضيف بقوله : «مرجع الغلط أن الياء في معيشة أصلية

---

(٨٠) المحتسب ٢٧٨/١ - ٢٧٩ .

(٨١) اعراب القرآن ٦٧٥/١ .

(٨٢) السبعة ٢٧٨ .

والهمز انما يكون في الياء الزائدة مثل صحيفة وصحائف لأن فعلها صحف والياء زائدة بخلاف معيشة ففعلها عاش والياء فيها أصلية<sup>(٨٣)</sup> فهو يوافق ابن مجاهد في تغليب رواية خارجة عن نافع.

٢ - علق المحقق على قول سفيان الثوري للأعمش : «أن لحن عاصم تلحن أنت وذلك حين نصب صلاتهم على أنه خبر كان ورفع مكاء على أنه اسمها مؤخر علق عليه بقوله : لم يلحن عاصم فلقرأته وجه واضح في العربية اذ جعل صلاتهم خبر كان ومكاء تصدية اسمها ولا مانع يمنع من ذلك<sup>(٨٤)</sup>.  
ولقراءة النصب وجيه عند متقدمي النحاة وصفه بالوضوح تكثر.

٣ - قال ابن مجاهد قرأ نافع وحزمة والكسائي : «يخرج الحمي من الميت ويخرج الميت من الحمي» و«البلد الميت» و«الى بلد ميت» وزاد نافع «أو من كان ميتاً» و«الأرض الميتة» و«لحم أخيه ميتاً» وخفف سائر القرآن مما لم يمت وخفف حمزة والكسائي غير هذه الحروف<sup>(٨٥)</sup>.

وقد اعترض المحقق على قول ابن مجاهد : «وخفف سائر القرآن مما لم يمت» بقوله: يشير الى قول من قال: ان الميت بالتشديد من لم يمت والميت بالاسكان من قد مات ومعروف أن القراءة سنة ولا تخضع لمثل هذا التقسيم انما تخضع للرواية المتواترة عند السبعة<sup>(٨٦)</sup>.

ونحن نعجب لكلام المحقق الفاضل اذ ما المعيب في استنباط قانون سارت عليه الرواية واذا كان ابن مجاهد ليس له إلا النقل واذا كانت الرواية قد سارت على قول في اللغة فليس تبعة ذلك على ابن مجاهد وانما على عاصم على أن الحرج مرفوع عن الامامين ونعد هذا من المحقق سبق قلم.

٣ - قال ابن مجاهد : «كلهم قرأ: (الا امرأته قدرنا) (المحجر ٦) مشددة الدال الا عاصما في

---

(٨٣) الصفحة نفسها الحاشية .

(٨٤) السابق ٣٠٥ - ٣٠٦ الحاشية .

(٨٥) السابق ٢٠٣ .

(٨٦) هامش صفحة ٢٠٣ .



رواية ابي بكر فانه خففها في كل القرآن وشدها في رواية حفص<sup>(٨٧)</sup>. وقد علق المحقق على كلام ابن مجاهد بقوله: قرأ حفص كما تصور ذلك المصاحف المصرية» فقدردنا فنعم القادرون» (المرسلات ٢٣)، وكذلك: «فقدرد عليه رزقه» (الفجر ١٦) بالتخفيف. وانظر الأنعام (٩١)، والحج (٧٤) والزمر (٦٧) (٨٨).

فقد ظن المحقق أن كلام ابن مجاهد: الا عاصبا في رواية ابي بكر فانه خففها في كل القرآن وشدها في رواية حفص» يفيد أن حفصا قد شدد مادة (قدر) في كل القرآن ومن ثم فانه أورد الآيات التي ورد فيها عن حفص التخفيف وليس ذلك مراد ابن مجاهد بل مراده أن كلمة قدرنا الواردة في قصة سيدنا لوط عليه السلام خففها أبو بكر في كل القرآن وشدها حفص وقد وردت كلمة (قدرنا) في هذه القصة في موضوعين هنا (الحجر ٦٠) وفي (النمل ٥٧) وقد شدها في الموضوعين حفص وخففها أبو بكر كما أشار ابن مجاهد وبعض ما ذهبنا إليه قول ابن الجزري: «واختلفوا في قدرنا انها» وفي النمل قدرناها فروى أبو بكر بتخفيف الدال فيها وقرأ الباقر بالتشديد فيها»<sup>(٨٩)</sup>.

### القراءات السبع في نظر العلماء :

اسلفت القول فيما مضى أن عمل ابن مجاهد رحمه الله قد تلقى بالقبول في الأوساط القرآنية وذلك لأنه اختار من كل بلد من البلدان الإسلامية الكبرى رئيس أو رؤساء الاقراء فيه وقد كثرت الدراسات التي أقيمت حول القراءات السبع من احتجاج وشرح نظما ونثرا والذي يهمننا هنا أن نسوق آراء العلماء في عمل ابن مجاهد المحبذين منهم والمعارضين ومن الشائع المتعالم أن أكثر علماء الأمة قد امتدحوا القراءات السبع جملة وتفصيلا ونعتوها بالتواتر ويكفي للتدليل على ذلك الفتوى التي أصدرها أحد أئمة الشافعية الكبار الشيخ تاج الدين السبكي حيث قال: «القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي متواترة معلوم من الدين بالضرورة أنها منزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل

(٨٧) السبعة ٣٦٧.

(٨٨) الهامش من الصفحة السابقة الذكر.

(٨٩) النشر ٢/٢٩٠.

وليس تواتر شيء منها مقصورا على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ولو كان مع ذلك عاميا جلفا لا يحفظ من القرآن حرفا قال: ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تسعه هذه الورقة حظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ويحزم يقينه بأن ما ذكرنا متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا الارتياح الى شيء منه<sup>(٩٠)</sup>.

وقال القسطلاني: «ثم ان التواتر المذكور شامل للأصول والفرش هذا هو الذى عليه المحققون»<sup>(٩١)</sup>

وفي مقابل كلام السبكي يقوم الامام الشوكاني: «وقد ادعى تواتر كل واحدة من القراءات السبع وهي قراءات أبى عمرو ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر دون غيرها وادعى أيضا تواتر القراءات العشر وهي هذه مع قراءة يعقوب وأبى جعفر وخلف وليس على ذلك إشارة من علم فان هذه القراءات كل واحدة منها منقولة نقلا آحاديا كما يعرف ذلك من يعرف أسانيد هؤلاء القراء لقراءاتهم وقد نقل جماعة من القراء الاجماع على أن في هذه القراءات ماهو متواتر وفيها ماهو آحاد ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضلا عن العشر وانما هو قول قاله بعض أهل الأصول وأهل الفن أخبر بفنهم<sup>(٩٢)</sup>.

وهناك من العلماء من كان يفصل في أمر التواتر كما فعل أبوشامة وابن الحاجب وغيرهما قال أبوشامة: فان القراءات المنسوبة الى كل قارى من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءاتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم<sup>(٩٣)</sup>.

وقال أيضا: وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة أى كل فرد فرد منها مما روى عن هؤلاء السبعة قالوا والقطع

(٩٠) لطائف الاشارات ٧٦/١ - ٧٧ .

(٩١) السابق ٧٨/١ .

(٩٢) ارشاد الفحول ص ٣٠ .

(٩٣) المرشد الوجيز ١٧٤ .

بأنها منزلة من عند الله واجب ونحن بهذا نقول ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق من غير تكبر مع أنه شاع واشتهر واستفاض فلا أقل من اشتراط ذلك اذا لم يتفق التواتر في بعضها<sup>(٩٤)</sup> وقد كان الامام ابن الجزرى رحمه الله ممن شنع على أبي شامة وغلظه فيما قاله وذلك في كتابه منجد المقرئين<sup>(٩٥)</sup> الذى ألفه في مائة الصبا ثم رجع ابن الجزرى الى كلام أبي شامة وأثنى عليه<sup>(٩٦)</sup>.

وذهب ابن الحاجب الى أن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمدا والامالة تخفيف الهمز ونحوه<sup>(٩٧)</sup>.

ولعل أعدل الأقوال وأولاها بالصحة فيما جمعه ابن مجاهد ما ذكره أئمة عدة: من أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف ولو احتالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أو العشرة أو غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها بأنها ضعيفة أو باطلة أو شاذة سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف<sup>(٩٨)</sup>.

هذا يجعل الاتجاهات في القراءات السبع من حيث التواتر وعدمه وقد وجهت بعض النقود لابن مجاهد لكونه جعل عدتها سبعا فأدخل بذلك الاشكال على العوام حيث ظنوا أن ما جمعه هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وهذا شيء لا ذنب لابن مجاهد فيه وليس مسؤولا عنه<sup>(٩٩)</sup>.

وقد بالغ الدكتور ابراهيم أنيس رحمه الله حين قال: ولعل السر في اضطراب المفسرين

(٩٤) السابق ١٧٦ - ١٧٧ .

(٩٥) انظر صفحة ٢٣٩ وما بعدها .

(٩٦) انظر النشر ١٣/١ .

(٩٧) انظر مختصر المنتهى الأصول ٢١/٢ .

(٩٨) النشر ٩/١ .

(٩٩) انظر النشر ٣٦/١ .

عند تفسيرهم لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين القراءات السبع التي رواها ووضع أسسها ابن مجاهد فظن بعض الشراح أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع ولو أن ابن مجاهد قد عالج القراءات النموذجية على أنها عشر قراءات كما فعل من جاءوا بعده ما حدث ذلك الربط بين الحديث وفن القراءات<sup>(١٠٠)</sup> وهذا كلام تعوزه الدقة إذ أن الأمر التبس على العوام ولم يلتبس على علماء القراءات ولا على شراح الحديث.

ومن عرّض بابن مجاهد لقصره كتابه على سبع قراءات اسماعيل بن ابراهيم القراب حيث قال: «ثم التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين لم يكن قرأ بأكثر من السبع فصنف كتابا وسماه: السبع ؟ فانتشر ذلك في العامة وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب<sup>(١٠١)</sup>».

وفي هذا ظلم لابن مجاهد واتهام له بقلة الاطلاع على القراءات علما بأن ما أثبتته من الرواية عن أبي جعفر وابن محيص وغيرهما في كتابه السبعة لدليل واضح على معرفته بقراءات كثيرة غير قراءات السبعة. وما ذكره في كتابه شواذ القراءات الذي اتكأ عليه ابن جنى في المحتسب يشير الى معرفته بقراءات أخرى كثيرة غير ما ذكره في السبعة.

وقد ذكر الامام مكي بن ابى طالب أن ناسا من الأئمة ذكروا في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وطرحهم. فقد ترك أبوحاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر<sup>(١٠٢)</sup>.

ونحن نقول ان وثاقة القراءات السبع لا تعود الى قدر القراء بها ومكانتهم فحسب ولكن الى اجتماع الناس عليها وتوفر الأجيال على تناقلها مما يجعلها أقل عرضة للخطأ والوهم وموضعا لاطمئنان النفس ومن هذه الزاوية. فانه لا يوجد لا سبعون ولا سبع أوثق اسنادا من القراءات التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه.

---

(١٠٠) في اللهجات العربية ص ٥٨ .

(١٠١) النشر ٤٦/١ .

(١٠٢) الابانة ص ٦ .

ولم أرفي من انتقد ابن مجاهد على بعض ما قاله في السبعة أشد من أبي حيان فقد تهجم عليه بكلام يسفر عن اختلاف واسع في الأصول والمقاييس بين السلف والخلف في النظرة إلى القراءات قال أبو حيان: «وحكى ابن عطية عن أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر: «كن فيكون» بالنصب أنها لحن وهذا قول خطأ لأن هذه القراءة في السبعة فهي قراءة متواترة ثم هي بعد قراءة ابن عامر وهو رجل عربي لم يكن ليلحن وقراءة الكسائي في بعض المواضع وهو إمام الكوفيين في علم العربية فالقول بأنها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجرح قائله إلى الكفر إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله (١٠٣).

وبعد فإن الأعمال الكبيرة الخالدة هي التي تثير حولها الجدل ومهما يكن من أمر فإن ابن مجاهد - أعلى الله مقامه في عليين - قد أسدى خدمة جلى إلى كتاب الله تعالى جزاه الله خير الجزاء.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

.....



## ثبت بمراجع البحث

- ١ - الابانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب تحقيق عبدالفتاح شلبى مكتبة نهضة مصر.
- ٢ - ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول لمحمد الشوكانى - القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ٣ - اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس تحقيق زهير غازى زاهد طبع بغداد .
- ٤ - البحر المحيط تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسي - بيروت دار الفكر ، ط . ثانية ١٩٧٨م.
- ٥ - البرهان في علوم القرآن تأليف محمد بن عبدالله الزركشي تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم - القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط ثانية ١٩٧٢.
- ٦ - تاريخ بغداد تأليف الخطيب البغدادي - بيروت ، دار الكتاب العربي.
- ٧ - تاريخ التراث العربى تأليف د. فؤاد سيزكين ترجمة فهمي أبوالفضل - القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧١.
- ٨ - الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين - د . أحمد مكي الأنصارى القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣.
- ٩ - السبعة فى القراءات تأليف أحمد بن موسى بن مجاهد تحقيق د. شوقي ضيف - القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢.
- ١٠ - شرح الرضي على الكافية فى النحو تأليف محمد بن الحسن الاستر بازى - بيروت ، دار الكتب العلمية .
- ١١ - طبقات الشافعية الكبرى تأليف عبدالوهاب السبكي تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو - القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط أولى ١٩٦٤.
- ١٢ - طبقات القراء تأليف محمد بن محمد بن الجزرى تحقيق ج برجستراسر - القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٣٥٢هـ.

- ١٣ - في اللهجات العربية د. ابراهيم أنس - القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط مكتبة الانجلو المصرية، ط رابعة ١٩٧٣م.
- ١٤ - لطائف الاشارات لفنون القراءات تأليف احمد بن محمد القسطلاني تحقيق الشيخ عامر عثمان ود. عبدالصبور شاهين الجزء الأول - القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.
- ١٥ - المحتسب في تبين شواذ القراءات تأليف أبى الفتح بن جني تحقيق على النجدي وزميله - القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣/٦ .
- ١٦ - مختصر المنتهى الأصولى تأليف عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب القاهرة المطبعة الاميرية ط اولى ١٣١٦هـ.
- ١٧ - المرشد الوجيز تأليف أبى شامة المقدسي - بيروت دار صادر ١٩٧٥.
- ١٨ - معجم الأدباء تأليف ياقوت الحموى البغدادى نشره مرجليوت - بيروت ، دارالمستشرق
- ١٩ - معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة - دمشق .
- ٢٠ - معرفة القراء الكبار تأليف شمس الدين الذهبي تحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة، دار الكتب الحديثة ط اولى ١٩٦٩.
- ٢١ - منجد المقرئين تأليف محمد بن الجزرى تحقيق عبدالحى الفرماوى ، القاهرة مكتبة جمهورية مصر.
- ٢٢ - نزهة الألباء تأليف عبدالرحمن بن الأنبارى تحقيق د. ابراهيم السامرائي - بغداد مكتبة الأندلس ، ط ثانية ١٩٧٠.
- ٢٣ - النشر في القراءات العشر تأليف محمد بن الجزرى تحقيق محمد أحمد دهبان دمشق مطبعة المؤمنين ١٣٤٥هـ.

.....